سيمياء الدلالة المركزية في زيارات الإمام الحسين عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
مولود محمد زايد
جامعة ميسان ـ كلية التربية
mmddmmdd73@yahoo.com

لاقت نصوص الزيارات بشكل عام، وزيارات الإمام الحسين - بشكل خاص - إهمالا غريبا من قبل الدراسات الأدبية والنقدية في مختلف توجهاتها اللسانية. على الرغم من البنية الشكلي المتميزة لنص الزيارة، والذي يمتلك معظم مضانّ الدراسات البلاغية والدراسات الجمالية؛ من صورة، وإيقاع، وفنون بلاغية، وعناصر فنية كثيرة تجعل منه نصاً قابلاً للمقاربات النقدية بمختلف توجهاتها التقليدية، بل والحديثة أيضاً[1].

ويتفرد الإمام الحسين عليه السلام في باب الزيارة من حيث كثرة الزيارات المخصوصة له، وتوزعها الذي يكاد يشمل جل المناسبات والمواقيت الشرعية التي نجد زيارته عليه السلام حاضرة فيها؛ ومحثوث عليها؛ لما ترمي إليه من ((تثقيف الجماعة الصالحة على الالتزام بالمفاهيم العقائدية والأخلاقية والسياسية التي تضمنتها نصوص الزيارات التي وردت في الحسين عليه السلام في الأيام المخصوصة المختلفة))[2].

وقد آثر البحث اختيار ثلاث من أهم زياراته عليه السلام، والتي تنفرد كل منها بثيمة دلالية خاصة تميزها عن غيرها من زياراته عليه السلام.

هذه الزيارات هي:

١- زيارة عاشوراء.

٢- زيارة الأربعين.

٣- زيارة وارث.

وينهض البحث على إجراء مقارنة بين هذه النصوص الزيارية الثلاثة، في محاولة للكشف عن بؤرة الدلالة المركزية التي تتمحور حولها بنية كل نص من هذه النصوص.

والمرتبطة بسمة معينة من سمات المكون التداولي لشخصية الإمام عليه السلام.

إن مقاربة نص الزيارة في ضوء موجهات (سيمياء التواصل) ذات البعد التداولي، والتي تخضع، في صلب توجهاتها المنهجية، للمؤثرات السياقية العامة التي تشكل عنصرا من عناصر خلق الدلالة داخل النص؛ قد يوقع البحث في إشكالات التوجهات المضمرة في ذهن متلقي النص، والمنبثقة من ارتباطها بالجانب العقائدي من صورة الإمام عليه السلام في منظومة المتلقي - الشيعي بالخصوص - ومن ثم فان أية مقاربة أو تأويل قد يخضعان لمؤامرة التأويل الموالي والموجه مسبقاً، خضوعاً للهوية الابستمولوجية التي تملكها شخصية الإمام عليه السلام.

من هذا المنطلق؛ آثر البحث انتهاج منهج (سيمياء الدلالة) ذات السمة البنيوية، والتي تتعامل مع النص كشبكة من العلامات ذات الدلالة الخاصة، النابعة من علاقاتها الداخلية، والمتضافرة في بناء الدلالة الكلية للنص. فهي ترى أن ((إدراك معنى الأقوال والنصوص يفترض وجود نظام مبني على مجموعة من العلاقات. وهذا، بدوره يؤدي بنا إلى تسليم مفاده أن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها. لذا، لا يجب الاهتمام إلا بالعناصر التي تبلور نسق الاختلاف والتشاكلات المتآلفة والمختلفة. كما يستوجب التحليل البنيوي الدراسة الوصفية الداخلية للنص، ومقاربة شكل المضمون وبناه الهيكلية والمعمارية))[٣].

أي إن البحث سيلتزم، في رؤيته النقدية لهذه الزيارات الثلاث، على أنها (نصوص أدبية). لها بنيتها الاشارية الخاصة، وعمارتها الخاصة التي تدور جميع تمفصلاتها حول دلالة مركزية، تحددها المقاربة السيميائية لبنية النص الكلية.

عناصر التشكيل وآفاق الدلالة:

إن الجانب التعبدي الذي تقوم عليه نصوص الزيارات الثلاث، جعلها تشترك وتلتقي عند عدد من المسائل المشكلة للبنية النصية لكل منها، من حيث كون الزيارة تمثل وقوفا وحضوراً بين يدي الإمام، بعدّه بابا من أبواب الله تعالى، والإقرار بالإيمان به وبما يمثله من قيم ومبادئ تشكل الهوية الفكرية والإيمانية للإسلام، وإعلان الموالاة له، والبراءة من أعدائه، وهم بلا شك، أعداء الإسلام، ثم التضرع الى الله به عليه السلام في طلب الحوائج، وغفران الذنوب.

إلا أن ذلك لم يكن مانعا من تفرد كل من هذه النصوص الزيارية ببنية دلالية تميزها عن نصوص الزيارة الأخرى، محققة بذلك الهوية الدلالية الخاصة بها، وهي الهوية التي سنحاول إبرازها من خلال التحليل العام للمفاصل البنائية لكل نص من هذه النصوص الثلاثة على حدة، لنعقد بعد ذلك مقارنة تفصيلية بين عناصر البناء الدلالي لهذه النصوص بشكل أدق، وأكثر تفصيلاً.

١ـ زيارة عاشوراء[٤].

إن الإطلالة العامة على المفاصل البنائية وقيمها الدلالية لهذه الزيارة تضعنا - وجهاً لوجه - أمام الجانب السياسي من شخصية الإمام عليه السلام. سواءً في أسلوب مخاطبته عليه السلام؛ أم في ما حشد من صور وقضايا داخل عمارة النص لهذه الزيارة.

واذا ما علمنا أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ((كانت من أجل تثبيت الموقف الشرعي والحكم الإسلامي تجاه ظاهرة الطغيان اليزيدي، والحكم الكسروي الجديد الذي كان يجسده هذا الحاكم المستهتر بالقيم والشعائر الإسلامية، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى المحافظة على وجود الرسالة الإسلامية واستمرارها من خلال تثبيت هذا الموقف وما يمكن أن يحدث عنه من تفاعلات في الأمة. ومن ناحية ثالثة إيقاظ ضمير الأمة وهز مشاعرها وأحاسيسها وتحريك وجدانها، من أجل العمل على مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة في حياتها.))[٥]. أقول، اذا ما علمنا ذلك، ووضعناه نصب أعيننا؛ أمكننا أن نلتقط المسارات الدلالية العامة لنص الزيارة هذا، والحقل الدلالي الذي تتحرك ضمن حدوده مفرداته وتراكيبها، والذي يقوم على بعدين رئيسين، هما:

١- البعد السياسي.

٢- البعد التعبوي.

فالبعد السياسي يتجلى بشكل واضح في هذا التركيز على الشخصيات المجسدة للطرف السياسي المقابل لطرف الإمام عليه السلام، وهي كلها شخصيات ترتبط بالحزب الأموي وأنصاره ومؤيديه، ذاكرة - بنحو التصريح - السلسلة المؤسسة لهذا الحزب المناوئ لخط الخلافة الإسلامية الشرعية؛ ((اَللّهُمَّ الْعَنْ اَبا سُفْيانَ وَمُعاوِيَةَ وَيَزيدَ ابْنَ مُعاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ

اَبَدَ الاْبدينَ)). ونجد ذكراً لبعض القادة والشخصيات البارزة في هذا الخط السياسي؛ كعبيد الله بن زياد؛ وعمر بن سعد، وشمر. ثم تتخذ الزيارة بعداً آخر يقوم على العموم والشمولية بالدعاء باللعن، ((وَلَعَنَ اللهُ آلَ زِياد وَآلَ مَرْوانَ، وَلَعَنَ اللهُ بَني اُمَيَّةَ قاطِبَةً)). بل قد تتسع الدائرة فتأخذ بعداً أمميا من خلال اللعن للأمة التي وقفت مناصرة لهذا الحزب السياسي، وأعلنت موالاتها له. ((وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللهُ الْمُمَهِّدينَ لَهُمْ بِالتَّمْكينِ مِنْ قِتالِكُمْ)).

إن هذا التسلسل في ذكر مشخصات الحزب الأموي. ابتداء برؤساء هذا الحزب، ومروراً بالقادة البارزين فيه، وانتهاء بالأنصار والمؤيدين. يشير الى ما يقف خلف هذه التمفصلات البنائية من إشارة الى الموقف السياسي المحرك للمنتمين لهذا الحزب، بكل شخصياته الوارد ذكرها في متن الزيارة.

ثم تعود الزيارة فتبين أن هذا الموقف السياسي لم يكن حكراً على شخصيات هذا الحزب، فهناك من مهد، وهناك من تآمر لدفع أئمة أهل البيت عليهم السلام - وهم الخلفاء المجسدون للمشروع الإداري الإسلامي - عن مراتبهم السياسية في إدارة شؤون الدولة الإسلامية:

((وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَاَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمُ الَّتي رَتَّبَكُمُ اللهُ فيها)).

((اَللّهُمَّ الْعَنْ اَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تابِعٍ لَهُ عَلى ذلِكَ،)).

حيث ((لم يعن بالمقام والمرتبة مقام قربهم ومرتبة ولايتهم واستحقاقهم للإمامة والخلافة؛ فان ذلك مما يمتنع سلبه عنهم، بل المراد ما ينبغي لهم بحسب الصورة والظاهر من الخلافة الظاهرية والسلطنة الصورية، ليطابق الظاهر الباطن، ويوافق الصورة الباطن))[٦].

أمام هذا الحزب السياسي الذي يمتد من أول ظالم تآمر على خلافة أهل البيت عليهم السلام ومنع استمرار خط سلسلة الأئمة من بعد الرسول صلى الله عليه وآله. وانتهاءً بـ (آخر تابع له على ذلك)؛ يقف الإمام عليه السلام ممثلا الحركة السياسية، والثورة الإلهية التي تهدف الى اقتلاع مظاهر الحكم السياسي الفاسد، الظالم. وإعادة حكومة الحق والعدل الإلهي.

وهذا الملمح السياسي من شخصيته وثورته عليه السلام، نستطيع ان نتلمس ظلاله من خلال مفتتح الزيارة الذي نجده مختلفا عن مفتتحات الزيارات الأخرى، فالنص، منذ مفتتحه،

يخاطب الإمام باسمه مباشرة، ((السلام عليك يا أبا عبد الله)). مجردا عن أية صفة إيمانية اوعبادية أو عقائدية، كما سنلمس ذلك في النصين الآخرين.

فكأن الزيارة تحاول أن تجلو لنا الإمام عليه السلام في هيئة شخصية ثائرة تمثل امتداداً للخط السياسي الإسلامي عبر هذا التركيز على دالة (البنوة) التي تربط الإمام عليه السلام بالرسول صلى الله عليه وآله. وبوصيه من بعده عليه السلام. ((اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ الله السَّلامُ عَلَيكَ يا خِيَرَةِ الله وابْنَ خِيرَتِه اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ اَمِيرِ الْمُؤْمنينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ،)). وهي - بلا شك - بنوة تحمل أكثر من محمول البنوة البايلوجية التي تربط هذه الرموز الثلاثة؛ حيث نجد أن فاعلية البنية المركزية المحركة لشبكة الدوال في نص الزيارة هنا؛ تؤثر بشكل مباشر على بوصلة التأويل المستعرضة لمفاصل النص. لتضعنا أمام التوجيه السياسي لهذه البنوة من خلال الامتداد الخطي الممتد من نظرية الخلافة الإسلامية المتجسدة في اجلى تجلياتها بالإمام عليه السلام. عبر الجانب القيادي الذي يخصّ الإمام عليه السلام بغض النظر عن سماته الإيمانية أو العقائدية(٧).

إن هذا الخط الاشاري الذي يبدأ به عليه السلام لينطلق بعد ذلك صعوداً الى رسول الله صلى الله عليه وآله. ولوصيه الشرعي. في مقابل الخط الآخر الذي يبدأ بأول ظالم ظلم حق محمد وال محمد صلى الله عليه وآله، وانتهاء بآخر تابع له. مروراً بالحزب الأموي؛ يضع بين أعيننا البعد السياسي ومقومات الحكم الإداري الذي يجسد جانبا من جوانب شخصية الإمام الحسين عليه السلام. والذي نجد نص الزيارة مركزا تركيزا تاما عليه. مشيراً إليه في فقرة ((لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتِ الْمُصيبَةُ بِكَ عَلَيْنا وَعَلى جَميعِ اَهْلِ الإسْلام)). فالرزية باستشهاده عليه السلام لا تخص جهة أو طائفة بعينها. بل هي رزية جميع أهل الإسلام؛ لأنها حادثة ترتبط بالنظام الإداري والسياسي للأمة الإسلامية كلها.

فكأننا، في هذه الزيارة بالذات، نقف أمام البيان السياسي الذي يتلوه الموالي لخط أهل البيت عليه السلام، أمام الرمز الحركي الخالد. والمجسد لمعالم الفكر الإيديولوجي لهذا الخط. وهو الإمام الحسين عليه السلام.

٢ـ الجانب التعبوي.

إن مفردات البعد العسكري، التعبوي؛ وما يرتبط بفعل الحرب والقتال؛ ترد في هذه الزيارة بشكل واضح، من خلال النشاط التعبوي الذي مثل حركة الخط السياسي المنحرف،

والغاصب للموقع الإداري للإمام عليه السلام.

فهناك تعبئة للجيوش، وتجهيز، وهناك تهيئة لحرب، وقتال، وهي كلها أمور انتهت بوقوع القتل على الإمام عليه السلام. ((وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً اَسْرَجَتْ وَاَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقِتالِكَ)). فنحن هنا أمام مسار دلالي ذو بعد عسكري، يبدأ بأفعال التهيئة والإعداد وإسراج الخيول - وهي صورة رمزية ذات إيحاء تعبوي واضح؛ وينتهي بنتيجة ذات بعد حربي بقتل الإمام عليه السلام.

ولا يخفى ما تثيره مفردة (القتل) هنا من اثر تخييلي تبث ظلاله معالم منبثقة عن فضاءات الحرب والمواجهة وأرضية الحرب والقتال:

((**إني**أتقرب الى الله وَالى رَسُوله وَالى اَمير الْمُؤْمنينَ وَالى فاطمَةَ وَالَى الْحَسَن وَالَيْكَ بِمُوالاتِكَ وَبالْبَراءَة (ممَّنْ قاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ)).

((وَهذا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِياد وَآلُ مَرْوانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ صَلَواتُ الله عَلَيْهِ)).

من المرتكزات المهمة في هذه الزيارة؛ تبرز لنا دالة (الثأر) كثيمة لها ملامحها المعززة للبعد السياسي الذي تتحرك ضمن فضاءاته موجهات الدلالة في هذه الزيارة. فابسط مفاهيم (الثأر) في الذهنية العامة أنه حق مؤجل. ذو ارتباط زماني، مستمر، ينتهي بحصول الفعل الغائي منه؛ والمتمثل - عادة - بإلغاء الطرف الآخر، والقصاص منه.

ونص الزيارة هنا تصف الإمام بأنه (ثأر). وإذا ما كان يمثل (ثأر الله وابن ثأره) من جهة الإشارة الى المرتبة الإدارية والحاكمية المغتصبة باغتصاب الخلافة المتعينة بأهل العصمة عليهم السلام؛ فانه، من جهة أخرى، يتجلى بكونه ثأر كل مؤمن وكل مسلم، وهو ثأر مستمر الى قيام صاحب الأمر(عج)، وأخذه لهذا الحق المؤجل[٨]:

((فَاَسْأَلُ اللهَ الَّذي كَرَّمَ مَقامَكَ وَاَكْرَمَني بك اَنْ يَرزُقَني طَلَبَ ثارِكَ مَعَ اِمام مَنْصُور مِنْ اَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله))

((وَاَنْ يَرْزُقَني طَلَبَ ثاري مَعَ اِمام هُدىً ظاهِر ناطِق بِالْحَقِّ مِنْكُمْ.))

فمفردات مثل (منصور، ظاهر، ناطق بالحق)؛ تختزل في ظلالها ملامح حراك سياسي وتعبوي ينهي حقبة سياسية حاكمة، أو متصرفة - ان لم تكن حاكمة، ويقيم

حكومة حق ظاهرة.

٢ـ زيارة الأربعين[٩].

يرتبط مصطلح (الأربعون) في ذهنية المسلم خاصة، بدلالة تحيل مباشرة الى مرحلة من المراحل التي يمر بها الميت في قبره، وهي مرحلة انتقالية يحددها الرصيد الإيماني والعبادي الذي يحمله الميت في قبره[١٠].

و(الأربعون) المعنية في هذا النص ليست كأية أربعين أخرى؛ لأي مسلم آخر؛ انها أربعون الإمام الحسين عليه السلام. وهذا يعني أنها متلبّسة بمحمولين دلاليين جليين:

الأول: انها أربعون إمام معصوم، هو القمة من حيث العبادة وعمق الإيمان ودرجات القرب من الله، وهو الحجة على أهل زمانه بما يمتلكه من رصيد إيماني.

والثاني: أنها (أربعون) بالعد والحساب بالنسبة ليوم هو يوم (عاشوراء)، الذي يلقي في الذهن معاني الثورة والحراك السياسي والعسكري من اجل التغيير وانهاء الظلم والطغيان والانحراف.

وهذا المعنى الثاني، ذو البعد الحركي السياسي، يمثل معنى حتمياً حاكماً لا يمكن إغفاله عند الحديث عن شخصية الإمام الحسين عليه السلام، رمز الثورة الخالد. ولا نعدم أن نجد له إشارات ومفاصل بنيوية في جسد هذا النص تتحدث عن المتابعة والولاء السياسي:

((نّي وَلِيٌّ لِمَنْ والاهُ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداهُ))

((وَقَلْبي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وَأَمْري لأمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّى يَأذَنَ اللهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ)).

إلاّ أن المعنى الأول المرتبط بالبعد الإيماني، بدا طاغيا بشكل لافت على عمارة هذه الزيارة، وبجميع مفاصلها، ابتداء بالمفتتح السلامي الذي خاطب الإمام بسمات هي في حقيقتها سمات ترتبط بعمق إيمان الشخصية المخاطبة:

((اَلسَّلامُ عَلى وَلِيِّ اللهِ وَحَبيبِهِ، اَلسَّلامُ عَلى خَليلِ اللهِ وَنَجيبِهِ، اَلسَّلامُ عَلى صَفِيِّ اللهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ))

فالولاية والخلة والاصطفاء لا تأتي نتاج حراك سياسي أو عسكري؛ وإنما هي هبات إلهية ترتبط بدرجات الإيمان والقرب منه جلّ وعلا.

ولو استعرضنا تمفصلات البنية النصية لهذه الزيارة، للمسنا دلالة (الإيمان) طاغية عليها بشكل لا يجعل مجالاً للشك ان أقررنا أن الدلالة المركزية التي تتمحور حولها بنية هذه الزيارة هي دلالة (الإيمان). اي الجانب الإيماني من شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

وإلى جانب منهجية مقارنتنا هذه القائمة على ما تتيحه حفريات القراءة المعرفية المستضيئة بمنطلقات السيمياء الدلالية التي أكّد البحث وفاءه لها منذ البدء؛ يرتبط نص زيارة الأربعين بإحالة خارج - نصية تمثل إضاءة تتجه نحوها جميع مفاصل البنية النصية التي تعيش - عادة - ما يمكن أن نسميه (قلق التأويل). بانتظار القراءة الواعية المدعومة بذائقة معرفية، توجه بوصلة النص نحو دلالة مركزية تمنح النص وجوده الخطابي.

هذه الإحالة متعلقة بإشارة صدرت عن إمام معصوم، وضعت نصب أعيننا الهوية الدلالية العامة لهذه الزيارة، ونعني بذلك؛ ما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام من حديث عن علامات المؤمن، يقول فيه: ((علامات المؤمن خمس، صلاة الخمسين، وزيارة الاربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[١١].

فالتعليق هنا يمثل قراءة ذات آلية متضادة تعتمد التخصيص - من خلال اختيار نص زيارة الأربعين بالذات كملمح من ملامح الشخصية المؤمنة. الى جانب فاعلية التعميم ذات الصبغة التأويلية - من خلال توجيه بنية نص الزيارة بشكل عام نحو دلالة (الإيمان).

وهذا ما يعزز ما يحاول البحث اثباته من أن مركزية الدلالة السيميائية لنص زيارة الأربعين تتجلى في جانب(الإيمان) كمكون من مكونات شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

ومن هنا تستقبلنا زيارة الأربعين برسم صورة للإمام تحددها سمات ذات هوية (إيمانية) في بعدها التراتبي، ومؤولاتها الجزائية؛ عبر وصف الإمام بـ(الولاية) و(الخلة) و(الاصطفاء)، وهي - بلا شك - مقامات مترتبة على درجات إيمانية تعبدية، يمكن أن تدركها الشخصية بغض النظر عن مقامها السياسي والاجتماعي.

إن نص الأربعين هنا يتحرك أمامنا عبر مفاصله البنائية، معززاً فضاءين دلاليين يشدان

أفق توقع القارئ، ويسهمان بشكل كبير في إشراكه في عملية الكشف عن الدلالة التي تتمركز حولها جزئيات النص كلها. هذان الفضاءان يتمثلان بالجانب الإيماني الذي اشرنا اليه في ما سلف من القول، وكذلك بالجانب العاطفي الذي نجده هنا متعانقاً مع ما يوازيه من دلالات الإيمان.

وهو أمر لا مشاحة فيه؛ ليقيننا أن البعد العاطفي يعد من المحمولات الدلالية المهمة لواقعة ألطف. استثمره نص (الأربعون) عنصراً فنياً بنائياً فضلاً عن عدم إغفال القيم التواصلية والنفسية التي يمنحها عنصر العاطفة للقضية الكبرى التي تتحرك من اجلها نصوص الزيارات الثلاث، موضع الدراسة. بل وكل النصوص الزيارية الأخرى، سواءً أكانت تخص الإمام الحسين عليه السلام، أم كانت تخص بقية المعصومين عليهم السلام.

يتجلى الفضاء العاطفي في مقاطع، منها:

((السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات..)).

((فَجاهَدَهُمْ فيكَ صابِراً مُحْتَسِباً حَتّى سُفِكَ فِي طاعَتِكَ دَمُهُ وَاسْتُبيحَ حَريمُهُ،))

وهي صور تمنح الإمام عليه السلام فاعلية اثارة الحس العاطفي المؤثّر في نفس المتلقي المرتبط مع الإمام عليه السلام بمشاعر عميقة، راسخة.

أما الفضاء الإيماني، فنجده ماثلاً في هذه الصورة المتضادة التي تجعل الإمام عليه السلام في أقصى يمين الإيمان والدعوة الى الله والنصح والإرشاد:

((فَأَعْذَرَ فِي الدُّعاءِ وَمَنَحَ النُّصْحَ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الْجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ)).

في مقابل ذلك، تجعل الخط المناوئ له عليه السلام في أقصى شمال الضلالة وإتباع الهوى والتعرض لسخط الله تعالى:

((وَقَدْ تَوازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالأَرْذَلِ الأَدْنى، وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدّى فِي هَواهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطاعَ مِنْ عِبادِكَ أَهْلَ الشِّقاقِ وَالنِّفاقِ وَحَمَلَةَ الأَوْزارِ الْمُسْتَوْجِبينَ النّارَ))

وهكذا، يتضافر هذان الفضاءان في تعزيز الجانب الإيماني الذي تجلوه زيارة الأربعين، فضلاً عن الجانب السياسي الذي لا يمكن أن، يختتم النص دون المرور به بسبب هذا الارتباط المترتب على كون النص زيارة أربعينية - في بعدها العددي - بالنسبة ليوم أول هو يوم (عاشوراء) بكل مشخصاته الثورية والسياسية.

ولذا تستوقف البحث فقرة (وأطاع أهل الشقاق والنفاق). حيث يمكن أن ندرك ما قد جسده التعبير بـ(الشقاق) و(النفاق) من بؤرة تتجمع فيها جميع مدلولات البعدين السياسي والإيماني. وما يمثله الأخير من دلالة مركزية لنص زيارة الأربعين.

فـ(الشقاق) مفهوم واضح الدلالة والارتباط بالجانب الإداري - السياسي، والاجتماعي أيضاً.

وكذلك نجد مفهوم (النفاق) كدلالة ضدية لا تقبل الشك في مقابل مفهوم (الإيمان) الحقيقي، الصادق.

ومن الشارات المهمة اللافتة للنظر في هذا النص. ما نجده في التركيز على رسم صورة الأمة بجلاء مسألة (الرضا) بما قوبل به الإمام عليه السلام من فعل القتل والذبح والسبي، وغير ذلك.

وفعل (الرضا) فعل قلبي، إيماني، لا نجد فيه إشارة الى ما تحدثنا عنه في زيارة عاشوراء من صورة لأمة تسرج وتلجم وتتنقب لقتال الإمام. وغير ذلك من مظاهر التعبئة العسكرية. وإنما اكتفت الزيارة هنا بذكر جانب الرضا والقبول بفعل الخط الأموي المنحرف. وفي ذلك تحقيق لتوافق دلالي ذي قيمة جمالية عالية لارتباط الحديث عن الجانب الإيماني من شخصية الإمام عليه السلام، لكونه الجانب الدلالي الطاغي على نص الزيارة هنا. مع الاكتفاء بالإشارة الى الجانب العسكري من خلال قول ((ولعن االله أمة قتلتك)). دون الاستغراق في الحديث عن البعد السياسي الذي يجسده الإمام عليه السلام، وما يقابله من خطٍّ سياسيٍّ منحرفٍ.

ومن الاضاءات المحملة بفيضٍ إشاريٍّ مهمٍّ في هذا النص؛ المقطع القائل:

((اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُوراً في الأصْلابِ الشّامِخَةِ وَالأرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِاَنْجاسِها وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمّاتُ مِنْ ثِيابِها)).

المقطع يجلو لنا صورة للإمام عليه السلام يتجسد فيها بكونه (نوراً). يحيلنا في تناصه الاصطلاحي الى طبيعة التوظيف القرآني لهذه المفردة، والتي غالباً ما ترد مقترنة بالإيحاء لمعاني الهداية والإيمان والعلم، وغير ذلك من المضامين التي تتحرك جميعها ضمن الحقل الدلالي لمفهوم (الإيمان) وحيثياته الأخرى من مقدمات، وشروط، وغير ذلك[١٢]:

((نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء))[١٣]. ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين))[١٤]. ((أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه))[١٥]

فضلاً عن ذلك، فالنور يلقي في ذائقة المتلقي ظلالاً من النقاء والطهر والسمو، في مقابل كل معاني النجاسة والرجس والكثافة الروحية، والعتمة الداخلية التي يمكن تلمسها في التعبير بـ(أنجاس الجاهلية) و(مدلهمات ثيابها). حيث ((لم تتلوث اذيال عصمته بأرجاس الكفر وأنجاس المعاصي))[١٦].

ومن خلال ذلك نتبين أن الله جل ذكره قد هيأ بحكمته وعلمه أعلى معاني النقاء والطهر لقلب الإمام عليه السلام وروحه، سواءً من خلال كونه عليه السلام - بحد ذاته - اماماً معصوماً أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً؛ أم من خلال كونه قد هيِّء له سلسلة من الأصلاب والأرحام الطاهرة البعيدة عن أرجاس الشرك والكفر والجاهلية، وما تحمله من تأثيرات وأرجاس كانت روح الإمام عليه السلام في مأمن منها، ايغالاً في ترسيخ وحفظ نقاء نور الإمام عليه السلام وطهره.

وإذا كان النور مفهوماً تنضوي تحته جميع مفردات الهداية والإيمان والعلم و.. الخ؛ أدركنا قيمة التركيز نص الزيارة هنا على الجانب الإيماني من شخصية الإمام عليه السلام. فضلاً عن حضور بقية الجوانب الأخرى؛ وفي مقدمتها الجانب السياسي.

وهو تركيز يلج بنا إضاءة أخرى اكتنز بها هذا النص؛ وتتجلى في غياب مفهوم (الثأر) الذي لمسناه حاضراً بشكل بارز في زيارة عاشوراء.

وإذا كان الفضاء الدلالي العام لنص الأربعين مفعم بمعاني الإيمان والنور والهداية؛ فان الظلال الدلالية التي يمكن ان تمتد من الثأر لا تتوافق - من حيث جماليات البنية والدلالة - مع معطيات فضاءات الإيمان المكتنزة بقيم الرحمة والإنسانية والطهر والروحية السامية؛

وهي قيم قد لا تتوافق في أفق توقع المتلقي مع معطيات مفهوم الثأر وما تبثه من صور التعبئة والقتال، وربما الدماء والسلاح أيضا.

إذن، فالبنية الدلالية لنص الأربعين قائمة على انتقائية ذات بعد جمالي عالٍ تتوافق فيه الدلالات توافقا يتحقق فيه الانسجام المراعي لفاعلية التأثير في ذهن المتلقي.

٣ـ زيارة وارث[١٧].

نحن هنا أمام نص مكتنز مكثّف، مشتمل على مجرة من الدوال تتعالق في حدودها معظم الوجوه الإيحائية و الوظائف الاشارية المنبثقة من رمزيه الإمام الحسين عليه السلام بما في ذلك ما المحنا إليه في تحليل النصين السابقين، نص عاشوراء و نص الأربعين.

وكالعادة تمنحنا عتبه العنوان بؤرة تتشضى عنها بقية دوال النص ومحمولاته النصية فالوراثة تجسد شكلاً من أشكال الامتداد سواء كان عمودياً ضاربا في الزمن، أم كان أفقياً ممتدا نحو العمق.

وتأتي العتبة التالية عتبه المفتتح السلامي لتفسر لنا هذه الوراثة:

((اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوح نَبِيِّ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ اِبْراهيمَ خَليلِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُوسى كَليمِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عيسى رُوحِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُحَمَّد حَبيبِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام)).

ولعل السبب في ذكر هؤلاء الأنبياء الستة عليهم السلام يعود الى أنهم ((جامعون لجميع الكمالات الروحانية متصفون بجميع الصفات الإلهية، والباقون من فروعهم ورشحاتهم ورعاياهم، فهم عليهم السلام اصول النبوة واركان الرسالة والباقون فروعها))[١٨]، فهي انتقائية دلالية فضلا عن وجهها البنائي الماثل يبث فيها حضور كل نبي من هؤلاء الستة عليهم السلام مداليل رمزيه نامية تتحرك مع مفاصل البنية التركيبية في نص الزيارة هنا وهي في نموها تشكل معادلا للنمو العقائدي والتطور الفكري والروحي الذي مرت به العقيدة الإلهية في متابعتها لحركه النمو والتطور الروحي للإنسانية على امتداد حضاراتها المتنوعة.

إذن فالامتداد الخطي الذي يتصل بالأمام عليه السلام هو امتداد الوراثة لما حمله الأنبياء وناضلوا من اجل إقراره ونالوا ما نالوا من سمات وألقاب ودرجات قرب حسب القيمة المرحلية للدور الذي جسدوه في نقل هذا الموروث و إيصاله إلى ما هو معد له من مخطط الهي.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن العقيدة الإلهية تمثل مجموعة من القواعد و الأصول والقوانين الشاملة التي انزلها الله جل وعلى منهاجا لبناء الحياة و المجتمعات البنية الأصح حسب الحكمة الإلهية وعلى جميع المستويات والأصعدة الحاكمة لحياة البشرية ومؤدياتها الفكرية والسياسية والاقتصادية و الاجتماعية.... الخ

هذه الشمولية في بيان مرتكزات العقيدة الإلهية تقف وراء ما نلمسه من كون نص زيارة وارث نصا جامعا تتجلى فيه مؤشرات الجانب العسكري - السياسي، إلى جانب البعد الإيماني، الروحي يتبادلان الظهور على مسرح هذا النص ليبعدا عن أفق توقع القارئ أية مرجحات سياقية داخلية أو خارجية تدفع إلى طغيان احدهما على الآخر. أو فرض مؤثرات تداولية تخلق مناخات خطابها الخاص. وإنما نحن أمام إمام تمظهرت فيه القيم الرمزية لأبرز مراحل تطور العقيدة الإلهية، وعبر أهم رموزها المشخصة من الأنبياء الستة عليهم السلام.

ويمارس نص الزيارة هنا آلياته الخاصة من اجل تحقيق شموليته البنائية. فنجده يتناص مع نصي الزيارة السابقين - عاشوراء، والأربعين - عبر المفاصل الباثة للدلالة المركزية لكل نص، وبشكل مباشر.

ففي محور الجانب العسكر - السياسي، يتم استدعاء مقطع الثأر من زيارة عاشوراء ((اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ثارَ اللهِ وَابْنَ ثارِهِ وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ)) وهو المقطع الذي بينا استغراق دلالاته في التأكيد على الجانب التعبوي، السياسي.

ثم تتوالى المقاطع لتؤكد الجانب السياسي هذا: ((وَاُشْهِدُ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَاَنْبِياءَهُ وَرُسُلَهُ اَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِايابِكُمْ، مُوقِنٌ بِشَرايِعِ دِيني وَخَواتيمِ عَمَلي، وَقَلْبي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وأمري لأمركم مُتَّبِعٌ)).

وفي المحور الإيماني، يستدعى المقطع الموغل في سديم الطهر و النقاء والذي بينا مدلولاته

في نص الأربعين:

((اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الأصلاب الشّامخَة، والأرحام الْمُطَهَّرَة، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِاَنْجاسِها، ولَمْ تُلْبِسْكَ مِنْ مُدْلَهِمّاتِ ثِيابِها،)).

ليعزز بمقاطع طافحة بدلالة الإيمان و الهدى و ما تجسد منها في شخصيته عليه السلام: ((وَاَشْهَدُ اَنَّكَ الإمام الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادِي الْمَهْدِيُّ وَاَشْهَدُ اَنَّ الأئِمَةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى، وَاَعْلامُ الْهُدى، وَالْعُروَةُ الْوُثْقى، وَالْحُجَّةُ عَلى اَهْلِ الدُّنْيا،)).

فضلاً عن ما نلمسه من الإشارة إلى الجانب الإيماني في ذكر الأمة وموقفها من مسألة استشهاد الإمام عليه السلام. حيث يجلو لنا النص موقف الأمة العسكري ((لعن الله أمة قتلتك)) ثم يشفعها بالموقف الإيحائي المرتبط بالرضا الداخلي والمساندة القلبية للفعل الخارجي، ((ولعن الله امة سمعت بذلك فرضيت به)). فهو موقف داخلي، ينافي حقيقة الإيمان الداعية إلى عدم الركون إلى فعل الظلمة أو الرضا بمظاهر طغيانهم.

مقابلات الدلالة المركزية:

بعد أن قمنا ببيان النسيج النصي المؤثث للدلالة المحورية التي يقوم عليها كل نص من النصوص الثلاثة السابقة، من خلال نظرة شمولية مفترِضة سلفاً أن النص يشكّل (وحدة دلالية)[١٩]. تتحرك جميع مكوناتها البنائية حول محور دلاليٍّ يمثل بؤرة النص ودلالته المركزية.

سنقوم هنا بعملية (تفكيك) مفاصل هذه النصوص، وعزل فقراتها لإجراء مقابلة دلالية بين كل فقرة من هذه الفقرات، وبين ما يقابلها من فقرات النصوص الأخرى. من اجل بيان معالم الاختلاف وخصوصية الدلالة التي تتخلل مفاصل كل نص من نصوص الزيارات الثلاث التي نحن بصدد دراستها.

١ـ عتبات النص.

تشكل عتبات النص مداخل مهمة يمكن من خلالها استشراف القيم الدلالية والايحائية للنص، وايقاض الحساسية التأويلية لأبعاد المسكوت عنه في النص، فهي من حيث قيمتها الحضورية ((دوال سيميولوجية فاعلة في النصوص التي تحفها، فاذا كان النص / العمل

بؤرة من بؤر التأويل والقراءة التحليلية - بوصفه بنية متكاملة، ومبنية من بنيات معينة قابلة للتفكيك لإعادة البناء -؛ فان العتبات وفق كل هذا لم تعد اشياء مهمشة كالسابق، لا يلتفت اليها))[٢٠].

وما يهمنا هنا عتبتان مهمتان لهما أثر واضح في رسم المسار الدلالي العام لكل نص من نصوص الزيارات الثلاث؛ هاتان العتبتان هما:

أ. عتبة العنوان.

وللعنوان أهمية فائقة في مقاربة النصوص وسبر أغوارها الدلالية؛ فهو ((لافتة دلالية ذات طابع أولي لابد منه لقراءة النص))[٢١]. في علاقة شبهت بعلاقة الرأس بالجسد[٢٢]. ولذلك ((يعد العنوان من أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية، ان فهماً وان تفسيراً، وان تفكيكاً وان تركيباً، ومن ثمّ؛ فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه المظلمة، كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص وتنكشف مقاصده المباشرة، وغير المباشرة، وبالتالي، فالنص هو العنوان والعنوان هو النص، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، أو علاقات تعيينية أو إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية))[٢٣].

وفي نصوصنا الثلاثة هذه، كان لكل مؤشر عنوان من عنواناتها مؤشر دلالي متغلغل في جسد النص عبر تشكلاته الدلالية النامية:

١- زيارة عاشوراء: بنية ذات محمول دلالي أقرها الاستعمال الخاص، وارتباطها بيوم بعينه، هو اليوم الذي جسّد الموقف السياسي والحركي للإمام عليه السلام.

٢- زيارة الأربعين: بنية تحيل الى مرحلة من مراحل انتقال المتوفى في عالم البرزخ، وهي نقلة تحددها درجة إيمان الإنسان، ومستوى إخلاصه ويقينه. الذي يترتب عليه رصيده العملي.

٣- زيارة وارث: بنية تحيل الى الوراثة العقائدية الممتدة لخط الأنبياء.

ب. عتبة المفتتح السلامي.

ان طبيعة الخطاب الذي يجسده المفتتح السلامي، وطبيعة ما يضيئه من ملمح من ملامح شخصية الإمام عليه السلام، يحيل المتلقي مباشرة الى الدلالة المحورية للنص كله، مشكلاً ما يميزه عن النصوص الأخرى، ويمكن بيان ذلك عبر الترسيمة الآتية:

زيارة عاشوراء	زيارة الأربعين	زيارة وارث
(السلام عليك يا أبا عبد الله) شخصية مجردة قائمة بذاتها	(السلام عليك يا ولي الله... السلام عليك يا خليل الله... السلام عليك يا صفي الله) صفات ومقامات إيمانية	(السلام عليك يا وارث آدم.. يا وارث نوح.. يا وارث ابراهيم.. يا وارث موسى.. يا وارث عيسى.. يا وارث محمد.. يا وارث أمير المؤمنين) الامتداد العقائدي

فإذا كانت الصفات الإيمانية في نص الأربعين، والصفات العقائدية في نص وارث، ذات ارتباط دلالي واضح بنصها أو بدلالته العامة؛ فإننا في نص عاشوراء أمام الماحة ذات قيمة جمالية تمتلك تناسبها الدلالي الواضح مع المحورية الدلالية لنصها، فالنص يخاطب الإمام عليه السلام في البداية كشخصية مجردة، ثائرة، تمتلك مشروعها السياسي والإصلاحي بغض النظر عن أية مقامات إيمانية أو عقائدية أخرى، والتي لم يغفلها النص من خلال ربط هذه الشخصية بخط رسول الله صلى الله عليه وآله وخط أمير المؤمنين عليه السلام.

((اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ) السَّلامُ عَلَيكَ يا خِيَرَةِ اللهِ وابْنَ خَيرَتِه) اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ اَمِيرِ الْمُؤْمنينَ وَابْنَ سَيِّدِ الْوَصِيّينَ،)).

٢ـ صفات الإمام.

تضمن كل نص من نصوص الزيارات الثلاث صفة أو أكثر من صفات الإمام توافق الدلالة المركزية الخاصة لكل نص منها.

ففي نص عاشوراء، نجد الإمام عليه السلام موصوفاً بكونه (ثأر الله وابن ثأره)، وقد بيّنا القيم السياسية والعسكرية من هذا التعبير. في مقابل ما جلته زيارة الأربعين من جوانب وصفات ترتبط بالقيم الإيمانية والعاطفية التي تضمنتها شخصية الإمام عليه السلام.

((اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُوراً في الأصْلابِ الشّامِخَةِ وَالأرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِاَنْجاسِها ولَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمّاتُ مِنْ ثِيابِها))

((وَاَشْهَدُ اَنَّكَ الإمام الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادِي الْمَهْدِيُّ))

((السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات))

أما زيارة وارث، ونتيجة لطبيعة الدلالة العقائدية الحاكمة لها؛ فاننا نجدها تتناصّ مع

النصين السابقين لتجمع الصفات السياسية والصفات الإيمانية ضمن محورية البعد العقائدي فيها:

((اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الأَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِاَنْجاسِها وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمّاتُ مِنْ ثِيابِها....)).

((اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ثارَ اللهِ وَابْنَ ثارِهِ وَالْوِتْرَ الْمَوْتُورَ)).

٤ـ صفات الآخر.

في مقابل صفات الإمام عليه السلام العليا التي حفلت بها النصوص الشريفة الثلاثة؛ وبحسب سياقها الدلالي الحاكم؛ نجد حرصاً كبيراً على بيات صفات الآخر المتضاد مع الحضور الدلالي المبارك للإمام عليه السلام في كل نص منها، باستثناء نص وارث الذي لا نجد فيه رسماً لصفات الآخر المضادّ.

ولعلنا يمكن أن نرجع سبب ذلك الى سمة الشمولية واتساع أفق الدائرة الدلالية التي يقوم عليها نص وارث، والمتعلق بمسألة العقيدة - كما أسلفنا - وهي مسألة تضم ضمن حقلها الدلالي جميع الأبعاد الدلالية الأخرى التي تقوم عليها بنية النصين السابقين، مما سوّغ لهذا النص الاكتفاء بالتعميم في بيان موقف الأمة بشكل عام، وهو ما سنبينه في الفقرة التالية، من حيث موقف الرضا القلبي، ثم التعبئة والإعداد، ثم القتل، وهي صورة تتسم بالشمولية والعموم أيضاً.

في نص عاشوراء، كانت السمة السياسية والعسكرية طاغية بشكل واضح على ما يلتقطه النص من ملامح ترسم صورة الآخر المضادّ، فنجد صفات الظلم، والإعداد للحرب، والقتل، والولاء السياسي، والمتابعة على القتل:

((وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَاَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمُ الَّتي رَتَّبَكُمُ اللهُ فيها،)).

((وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً قَتَلَتْكُمْ وَلَعَنَ اللهُ الْمُمَهِّدينَ لَهُمْ بِالتَّمْكينِ مِنْ قِتالِكُمْ،)).

((اَللّهُمَّ اِنَّ هذا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو اُمَيَّةَ.... وَهذا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِياد وَآلُ مَرْوانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ)).

((اَللّهُمَّ الْعَنْ اَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تابِعٍ لَهُ عَلى ذلِكَ، اَللّهُمَّ الْعَنِ الْعِصابَةَ الَّتي جاهَدَتِ الْحُسَيْنَ عليه السلام وَشايَعَتْ وَبايَعَتْ وَتابَعَتْ عَلى قَتْلِهِ)).

وفي نص الأربعين، ذي الدلالة الإيمانية الغالبة، تأتي ملامح الآخر متضادّة مع مفهوم الإيمان، موغلة في الضلال والبعد عن الهداية، غارقة في ملاذّ الدنيا الزائلة، وبائعة للآخرة بالثمن الأوكس:

((وَقَدْ تَوازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالأَرْذَلِ الأَدْنى، وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدّى في هَواهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطاعَ مِنْ عِبادِكَ أَهْلَ الشِّقاقِ وَالنِّفاقِ وَحَمَلَةَ الأَوْزارِ الْمُسْتَوْجِبينَ النّارَ،)).

٥ـ موقف الأمة.

عند متابعة الصورة التي رسمها كل نص من هذه النصوص لموقف الأمة من قضية الإمام الحسين عليه السلام؛ نجد أن التفاصيل المنتقاة في رسم هذه الصورة تختلف من نص الى آخر من خلال التركيز على ملامح ومسائل تتوافق وطبيعة التوجه الدلالي العام لكل نص.

في نص عاشوراء،، ذين استبيان هذا التأكيد على الموقف التعبوي للأمة، والذي يمثل – في النهاية – التوجه المحدد للموقف السياسي لها:

((وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً اَسْرَجَتْ وَاَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقِتالِكَ))

وفي نص الأربعين، ذي المركزية الإيمانية، يقابلنا التعبير:

((وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ))

في تركيز واضح على جانب الرضا القلبي المضادّ لمفهوم الإيمان ومتعيناته في روح الفرد المسلم وقلبه.

أما نص وارث؛ ذي الدائرة الدلالية الشمولية؛ فإننا نجده يتناص مرة أخرى مع النصين السابقين في توجّه فني موضوعي يؤكد احاطته واستيعابه للجوانب الإيمانية والسياسية التي تندرج ضمن مؤثثات الفكر العقائدي بشكل عام:

((فَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ

فَرَضِيَتْ بِهِ،)).

فهي أمة راضية بقتل الإمام عليه السلام (الموقف الإيماني). وهي أيضا أمة قاتلة (الموقف التعبوي - السياسي).

هوامش البحث

(١) نستثني من ذلك الجهود القيمة للدكتور محمود البستاني في مؤلفاته العديدة. ينظر مثلاً: الإسلام والفن: ١٧٩.

(٢) الامام الحسين عليه السلام - السيد محمد باقر الحكيم: ٣٠٩.

(٣) الاتجاهات السيميوطيقية - الدكتور جميل حمداوي: ٤٢.

(٤) الزيارة في كتاب مفاتيح الجنان - عباس القمي: ٥٢٩.

(٥) ثورة الحسين عليه السلام - السيد محمد باقر الحكيم: ٥٠.

(٦) شرح زيارة عاشوراء - الملا حبيب الله الكاشاني: ٥٩.

(٧) ينظر: نفحات الأبرار في شرح زيارة عاشوراء - محمد جميل حمود العاملي: ١٧١.

(٨) ينظر: صداق الحور في شرح زيارة عاشور - حسن الساروي المازندرائي:٢٧.

(٩) الزيارة في كتاب مفاتيح الجنان - عباس القمي: ٥٤٢.

(١٠) ينظر: احكام الجنائز - الالباني:٢٥٧.

(١١) تهذيب الاحكام - الشيخ الطوسي:٥٢/٦.

(١٢) ينظر: تفسير الميزان - محمد حسين الطباطبائي: ١٢١/١٥. وينظر ايضا: الور والظلماء في ضوء الكتاب والسنة - د. سعيد بن علي بن وهب القحطاني، مبحث (النور والظلماء في الكتاب الكريم).

(١٣) النور: ٣٥.

(١٤) المائدة: ١٥.

(١٥) الزمر: ٢٢.

(١٦) جنة الحوادث في شرح زيارة وارث: ١٤٢.

(١٧) الزيارة في كتاب مفاتيح الجنان - عباس القمي: ٥٠٢.

(١٨) جنة الحوادث في شرح زيارة وارث - الملا حبيب الله الكاشاني: ٧٥.

(١٩) ينظر: نظرية علم النص - د. حسام احمد فرج:٨٢.

(٢٠) عتبات النص والمسكوت عنه - د. حافظ المغربي (بحث): ٥.
(٢١) الشعر والتلقي، دراسات نقدية - علي جعفر العلاق. ١٧٣.
(٢٢) ينظر: دينامية النص - محمد مفتاح، ٧٢.
(٢٣) عتبات النص الأدبي، مقاربة سيميائية - بخولة بن الدين (بحث):١٠٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- القرآن الكريم.

الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية) -٢٣- الدكتور جميل حمداوي، الطبعة الأولى:٢٠١٥م

٢- احكام الجنائز - محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦.

٣- الإسلام والفن - د. محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية، ط١. ١٩٩٢.

٤- الامام الحسين عليه السلام - السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف، ٢٠٠٨.

٥- تفسير الميزان - السيد محمد حسين الطباطبائي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت، لبنان، ط ١. ١٩٩٧.

٦- تهذيب الأحكام، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الاسلامية، طهران، إيران، ١٣٦٥هـ.

٧- ثورة الحسين عليه السلام - السيد محمد باقر الحكيم، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، ط٢، ١٤٢٥ هـ.

٨- جنة الحوادث في شرح زيارة وارث - الملا حبيب الله الشريف الكاشاني، ت:نزار حسن، دار جلال الدين. قم. ايران. ط٢، ١٤٢٤هـ.

٩- دينامية النص - محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، دت.

١٠- شرح زيارة عاشوراء - الملا حبيب الله الكاشاني، ت نزار حسن، دار جلال الدين، ط ٣، ١٤٢٤هـ.

١١- الشعر والتلقي، دراسات نقدية - علي جعفر العلاق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن. ط١، ١٩٩٧.

١٢- صداق الحور في شرح زيارة عاشور - حسن الساروي المازندرائي، ترجمة وتحقيق احمد بن حسين الاحسائي، مكتبة فدك لإحياء التراث، ط١، ٢٠١٤

١٣- مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، النجف، العراق، ط١، ٢٠١٢.

١٤- نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري - د. حسام احمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩.

١٥- نفحات الأبرار في شرح زيارة عاشوراء - الشيخ محمد جميل حمود العاملي، مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٢.

١٦- النور والظلمات في الكتاب والسنة - د. سعيد بن علي بن وهب القحطاني، مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان، الرياض، د.ت.

ثانياً: البحوث.

١- عتبات النص الأدبي، مقاربة سيميائية - بخولة بن الدين، مجلة سمات. جامعة البحرين. مجلد (١) العدد (١) مايو ٢٠١٣.

٢- عتبات النص والمسكوت عنه، قراءة في نص شعري - د. حافظ المغربي، مجلة قراءات. جامعة بسكرة. الجزائر. عدد ٢٠١١.